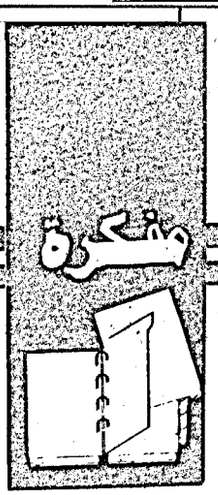

مدينة الحاكمين بأمر واشنطن

تدفقت القذائف فوق شوارع المنطقة الغربية ، وابنيتها المحشوة بالاطفال والنساء .. وعلى عناق الشظايا ولحم النائمين في اسرتهم ، وارتطامها بأحجار الشرفات ، واصطدام صوتها بألواح الزجاج ، اسبلت جفني تعبا ، غارقا في بحيرة النوم ..

★ ★ ★

وعلى ضفاف البحيرة حطت حمامة زاجلة ، تخفق لي بجناحيها .. عجبت كيف نجت من حواجز الصاعقة والكتائب والدائرين في فلكهم ، وكيف انسلت بين رصاصات القنص والشظايا ، وادهشني انها اطمأنت لي ، ومدت لاصابعي الملهوفة احدى ساقيها ملفوفة بكلمات شذاها ياسميني ..

★ ★ ★

وقبل ان اقرأ توقيع مرسلها قذفتني البحيرة فوق سرير في شقة تطل نوافذها على اعشاش قذائف استوطنت بناية مقابلة، فمرت بذاكرتي عبارات وردت في رسالة البحيرة الغائبة :

★ ★ ★

– « البحصة » انفجرت طوابق ابنية شاهقة العلو ، تحجب الشمس عن بيوت فقيرة بدأت جارفات الحكومة تحصدها بفقرائها ، وترمي بهم بين اقدام المتعهدين ومصاصي الدماء والارواح !

– وحده تخترق نيوبه لحم الخراف ، ولحم الدمشقيات ، يغري أجمل امرأة بنجوم كتفيه ، يرفعها فوق اسرة الابتذال ، كما يرفع الفلاحين الى موائد الابتزاز ..

– يمضي بثلة من الجنود ، يجوبون قرى الساحل الحزين ، يسوقون الرعاة والمتاجرين بفحم الغابات ، والحالمين بأرغفة القمح الكندي ، وفي العاصمة يلبسونهم اقمشة مبرقعة كجلود النمور مسلمين لجوعهم السرمدي مخازن المدينة ونساءها واطفالها لقاء الاستماتة حين تعرض قصر الامير لمكروه .

– بغدارته يدخل الاذاعة والتلفزيون ينتقي اشهى مذيعة او ممثلة او مغنية لتبديد ضجره بين ملاهي العاصمة المخفورة منذ الغروب الى عز الظهيرة ، برجاله المنتشرين هراوات وبنادق ارهاب ، ومسدسات تصفية ، وفي الاعياد ينصبون المقاصل في الساحات ، حولها يمشط المشائخ والقساوسة الذقون ، فيجتمع الفقراء لحرق الشعيرات الخارجة من « المكانس » ، يحرقونها فيطردون الجوع من بطونهم !

– وذات مساء امتعض الحاكم ، فالفقراء يمدون بينهم فجرا من البسمات غير المأمونة ، اقصت مضجعه ، فأرخى العنان لاشرس الكلاب تشتم رائحة التفاؤل في اعين الفقراء ، انهرد الفقراء بها يحرقون جلودها بياقطة تمترس الحاكمون بها ، وفي ظلها وقعوا صفقات بيع البلاد ، قابضين اجرهم من ألباب عظام شعوبهم ، مكللا بابتسامة الرضا تبثها عينا «كيسنجر» الذئبيتين ، مع السماح بشرب الويسكي والرقص طوال الليل مع راقصات البيت الابيض في ظل تمثال حرية الذئاب !

– أفقنا صباح أمس ، وابوابنامخلوعة ، واثاث منازلنا مفلى ، وورقة اعتذار مختومة بدمعة امتدت كبقعة زيت فوق خارطة البلاد ، ذرفتها مآقي رفيق ابتلعه بطن المزة الجشع !

– وعساكر القصر ، لامعي الاحذية مبرزي المسدسات فوق الخصور ، يسبحون بحمد الوالي ، وباسمه ينتزعون صبية من ساعدي خطيبها – بعد اخفاء اثاره – لان لحم ساقها ابيض ، بينما سيقان الرعية عادة تزرق ! وتلفحها سياط شمس النظام صبح مساء . في غرف التحقيق اتهموها بالفجور بعد ان امتطاها – وهي ترسف بالقيود – ضابطهم وجنوده والاولى بالمعروف ، وفروا بها صوب منطقة لا نأمة انس تشوبها ، فكانت عجلات السيارة اخر مغتصب ، بانتظار شمس الصباح تنقل شكل الضحية بين ضمائر شعب يتنفس مكرها رفير العساكر والمخبرين !

– وتسألون عن شجر الحرية ؟..

لقد استحالت مدينتنا صحراء ، نجومها فوق اكتاف ضباط المخابرات ، والنهر الاحمر ما مر بعد بواحاتها الظمأى .. والصحراء ان اعشبت تعشب الشوك لنوق النظام ، وقطاع الطرق ، وعشائر تفرز فرسانا تصهل جيادهم في حقول ألغام زرعتها الامبريالية بأيدي العساكر المقذوف بهم الى أمعاء النار واضراس الوغى !

– وحواجز حكامنا المصدرة الى بيروت ، من ورق ، فنظام العساكر قنبلة محشوة بحقد الجماهير المقدس وتناحر العملاء فيما بينهم .. فالشجاع من يدرع الصاعق ، اما الفدائي من يقتحم العرين ، ويلقي بالقنبلة الى قاع المحيطات ، كي نوفر الضحايا ، ونسلم امر البلاد لابنائها الفقراء !

★ ★ ★

وقذيفة بحجم غراب ، هزت البنايات ، ناعقة ببقية الرسالة الاتية من عاصمة « الهزبر » العجوز !